سلسلة الإسلام الصافي – ٢٣

www.saaid.net/kutob

بيان الشرك الأكبر والأصغر وشروط الشفاعة

ووجوه بطلان الشرك

تأليف

أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر

رحمهم الله تعالى

انتقاه واعتنى به

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سُئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر[1] ، رحمهم الله تعالى ، عن الشرك بالله ، ما هو الأكبر الذي ذُم فاعله ، ومالُه حلال لأهل الإسلام ، ولا يُغفر لمن مات عليه ، وما هو الأصغر ، فأجابوا[2] :

قد ذكر العلماء رحمهم الله أن الشرك نوعان ؛ أكبر وأصغر ، فالأكبر أن يجعل لله ندًّا من خلقِه ، يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله.

والحاصل أن من سوَّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره ، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾[3] ، وقال تعالى عن أهل النار ﴿تالله إن كنا لفي

---

[1] هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر ، ولد عام ١١٦٠ هـ في بلدة العيينة ، نشأ في بيت حكم وإمارة ، فآباؤه هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، أخذ العلم عن جماعة من العلماء ، منهم إمام الدعوة في زمانه ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولما بلغ في العلم مبلغا كبيرا جلس للتدريس في العيينة ، فدرس على يديه أئمة في العلم والعمل ، وهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، والشيخ عبد الله أبابطين ، رحمهم الله.

وفي سنة ١١٢٢ هـ تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة ، وتوفي فيها عام ١٢٢٥ هـ ، رحمه الله.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتاب «النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين» ، وهي من إعداد الشيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله.

[2] في نسخة «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١٠٢/٥) أن المسؤول هو الشيخ عبد العزيز قاضي الدرعية ومن حوله من العلماء ، هكذا بدون ذكر نسبة للشيخ عبد العزيز رحمه الله ، وأن هذه الإجابة تتقدم إجابات على عدة مسائل قد جمعت في مجموع واحد ووسموه «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية».

[3] سورة البقرة: ١٦٥ – ١٦٧ .

ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾[1] ، قال بعض المفسرين: والله ما ساووهم بالله في الخلق والرزق والتدبير ، ولكن ساووهم في المحبة والإجلال والتعظيم.
وقال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[2] ، أي يعدلون به في العبادة.

ولهذا اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ؛ فقد كفر ، لأن هذا كُفر عابدي الأصنام ، قائلين ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ ، ثم شهد عليهم بالكذب والكفر فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾[3] فهذا حال من اتخذ من دون الله أولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله.
وقال ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[4] ، وقد أنكره الله في كتابه وأبطله[5] ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه سبحانه يأذن في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا من دون الله شفيعاً ، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد الذي حقق قول «لا إله إلاّ الله».

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عمن أذِن له لمن وحَّده ، والشفاعة التي نفاها الله ؛ الشركية التي يظنها المشركون ، فيُعامَلون بنقيض قصدهم ، ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قوله ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟

---

[1] سورة الشعراء: ٩٧ – ٩٨ .
[2] سورة الأنعام: ١ .
[3] سورة الزمر: ٣ .
[4] سورة يونس: ١٨ .
[5] أي أنكر اتخاذ أولياء ووسائط بحجة أنهم يقربون ويشفعون إلى الله.

قال: من قال «لا إله إلاَّ الله» خالصاً من قلبه.[1]

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد ، عكس ما اعتقد المشركون ؛ أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة **تجريد التوحيد** ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه.

ومِن جَهْل المشرك اعتقاده إن اتخذ من دون الله شفيعاً أن يشفع له وينفعه ، كما يكون عند خواص الملوك والولاة ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في **الفصل الثاني**[2] ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[3].

وبقي **فصل ثالث** ، وهو أنه ما يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يُسأل الأولون والآخرون ، كما قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون ؛ ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين؟[4]

---

[1] رواه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه: خالصا من قلبه ، أو نفسه.
ورواه أحمد (٣٧٣/٢) ولفظه: خالصة من قبل نفسه.

[2] الفصل الأول هو تجريد التوحيد ، ولعله يقصد بالفصل الشرط ، والفصل الثاني أو الشرط الثاني هو أن يرضى الله قوله وعمله ، ودليله الآية اللاحقة.

[3] سورة الأنبياء: ٢٨ .

[4] روى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ ، قال: يُسألُ العباد كلهم عن خَلَّتين يوم القيامة ؛ عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين.
تفسير سورة الحجر ، الآيات ٩٢ – ٩٣ .
قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين.
«الرسالة التبوكية» ، ص ٨٠ ، الناشر: مكتبة الخراز – جدة.

فهذه ثلاثة أصول تُقَطِّع شجـرة الشرك من قلب من وعاها وعقِلها ، **فالأول** أنه لا شفاعة إلا بإذنه ، **والثاني** أنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، **والثالث** أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.

(وقد قطع الله تعالى كل الأسباب[1] التي يتعلق بها المشركون قطعاً جميعا ، قطعا يَعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾[2] ، فقال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[3] ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع:

إما مالِك لِما يريده عابده منه.

فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك.

فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا.

فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفى الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعةً لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة

---

[1] هذا المقطع من كلام ابن القيم رحمه الله.

[2] سورة العنكبوت: ٤١ .

[3] سورة سبأ: ٢٢ – ٢٣ .

بإذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك وموادِّه لمن عقلها.

والقرآن مملوءٌ من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يُعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحُول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا ؛ فقد ورِثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناوُل القرآن لهم كتناوُله لأولئك.

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذَمَّهُ ، وقع فيه وأقرَّه ، ودعا إليه وصوبه وحسَّنه ، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه ، فينقض بذلك عُرى الإسلام عن قلبه ، ويعود المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة ، ويُكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويُبَدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، والله المستعان).[1]

والكلام في هذه المسألة يحتاج إلى بسط طويل ليس هذا محله ، وإنما نبهناك على ذلك تنبيهاً يعرِف به كل من نور الله قلبه حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وحرَّم الجنة على فاعله.

[1] «مدارج السالكين» (١/٦٠٠-٦٠١) ، منزلة التوبة. (تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل - الناشر: دار طيبة – الرياض)

ولكن من أعظم أنواعه وأكثره وقوعاً في هذه الأزمان **طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم** ، كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾[1]: (إن هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)[2] ، كما ذكر البخاري في «صحيحه» في تفسير سورة نوح ، وكما ذكر غيره من أهل العلم ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والحلف بغير الله ، كما ذُكر عن النبي ﷺ أنه قال: من حلف بغير الله فقد أشرك. [3]

ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت ، فقال:

أجعلتني لله نِدًّا؟ قل: ما شاء الله وحده.[4]

---

[1] سورة نوح: ٢٣ .

[2] انظر صحيح البخاري (٤٩٢٠) ، و تفسير ابن جرير ، سورة نوح: ٢٤ .

[3] رواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢) ، وأبو عوانة (٥٩٦٧).
ورواه الترمذي (١٥٣٥) ، بلفظ:من حلف بغير الله فقد كفر – أو أشرك – . (شك الراوي).
واللفظ الأول هو المعتمد لكثرة رواته ، قاله الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله.
والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[4] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩) بلفظ: أجعلتني لله عِدلا.
ورواه البيهقي (٢١٧/٣) وأحمد (٢١٤/١) بلفظ: أجعلتني والله عِدلا؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قاله محققو «المسند».

وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

وللفائدة ، فقد روى النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٨) عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فكلمه فقال: ما شاء الله ، (يعني: وشئت). فقال: ويلك ، أجعلتني والله عِدلا؟ قل: ما شاء الله وحده.

وروى الطيالسي (٤٣١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥) ، وأبو داود (٤٩٨٠) ، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) ، وأحمد في «مسنده» (٣٨٤/٥) بلفظ: قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

وروى أحمد في «مسنده» (٧٢/٥) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن عزيرا ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد).

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (المسيح ابن الله).

قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وما شاء محمد).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدا؟

قال عفان: قال: نعم. فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طفيلا رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أنهاكم عنها ، قال: لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

ورواه عبد الرزاق (١٩٨١٣) في مصنفه ، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (١٩٩٨).

وروى البيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) والنسائي في «المجتبى» (٣٧٨٢) – واللفظ للبيهقي – عن قُتيلة بنت صيفي الجهني قالت: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ، نعم القوم أنتم لولا أنتم تشرِّكون.

قال: سبحان الله! وما ذلكم؟ قال: تقولون إذا حلفتم: بالكعبة.

فأمهل النبي ﷺ ثم قال: من حلف فليحلف برب الكعبة. ثم قال: نِعمَ القوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء فلان.

فأمهل رسول الله ﷺ ثم قال: من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما: ثم شئت.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

وهذه اللفظة أخف من غيرها من الألفاظ ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده ، وهذا الذي ذكرنا متفق عليه بين العلماء – رحمهم الله تعالى – أنه من الشرك الأصغر ، كما أن الذي قبله متفق عليه أنه من الشرك الأكبر.

واعلم أن التوبة مقبولة منهما[1] ومن سائر الذنوب قطعا إذا صحت التوبة واستُكملت شروطها ، لكن ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبِعه قال: (لا تقبل توبة القاتل) ، وقد ناظر ابن عباس أصحابه ، وخالفه جمهور العلماء في ذلك ، وقالوا: التوبة تأتي على كل ذنب ، فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل ، واحتجوا بقوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾[2] ، وبقوله تعالى ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[3] ، فإذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فإن الله عز وجل غفار له.[4]

قال محققو «المسند» (٣٠٠/٣٨) وفقهم الله: ويُقاس على هذا كل لفظ يوهم التسوية بين الخالق وبين المخلوق ، مثل قول العامة وأشباههم: توكلنا على الله وعليك ، وما لي غير الله وغيرك ، وباسم الله والشعب ، مما ينبغي تجنبه والانتهاء عنه والتوبة منه ، أدبا مع الله سبحانه.

[1] أي من الشرك الأكبر والأصغر.

[2] سورة الزمر: ٥٣ .

[3] سورة طه: ٨٢ .

[4] انتهى كلامهم رحمهم الله ، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٩٥/٢ – ٢٠٠) ، و «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥٦٤/٥ – ٥٦٨) ، وبينهما فروقات يسيرة ، وقد اخترت منها ما هو أنسب للسياق ، أما الأحاديث فضبطتها من مصادرها.